٧ العرافة والزمن الأغبر

اعتاد المصريون منذ نعومة ثقافتهم أن يصنعوا بأيديهم آلهة يقدسونها ويضفون عليها مهابة ويمنحونها سلطات اقتطعوها من حرياتهم حتى وصلوا لدرجة أصبح الحاكم فيها إلهًا والشعب يسعد أن يكون قربانًا لنيل رضا الحاكم وكسب ثقته.. وعندما تشتد غطرسة الحاكم المؤله ويتعمق استعلاءه ويستفحل فساد نظامه ينقسم المجتمع إلى إله وحاشية سمتها البطش والفساد،، وقلة واعية مثقفة تستنكر العبودية والفساد على حذر حتى تتحين الفرصة للبطش بالحاكم وإسقاط نظامه، والثالثة الأغلبية الصامتة التى لا تزال تبني وتكتم غيظها وغضبها وتخفي علامات مجاعتها وابتآسها ولا تملك سوى الانصياع للحاكم المؤله والشفقة على القلة الواعية شبه المنظمة، ودائمًا ما تبرر عدم خروجها على حكامها المفسدين بخوفها المستمر من المجهول الذي ينتظرها حالة اشتباك القلة الواعية مع الآلهة الحاكمة الفاسدة، فدائمًا ما تجد الأغلبية الصامتة في لعب دور المتفرج على الأحداث راحتها، ويصبح عدم المشاركة والحياد "الفعل الميت" هو الإستراتيجية المفضلة لهذه الأغلبية في ممارسة العمل السياسي. ودائمًا ما تفرح هذه الأغلبية بما تصنعه أيديهم ويخافون أيضًا مما صنعوه فهم صناع البهجة والمرارة.. ونظرًا لفقدانهم الثقة في كل شيء يتفاعلون معه أخذًا وعطاء، فهم يميلون إلى الحديث مع الصامت مثلهم.. فهم يجيدون الحديث والتفاعل مع النجوم والكواكب وقراءة الكف

والحوار مع ودع العرافين .. فعندما تشتد بهم الأزمات وتتكاثف الغيوم والهموم يلجئون إلى هذه الأشياء الصامتة لتفسير عللهم الاجتماعية ويستعينون بالقوى الخفية للتغلب على هذه المعضلات.. ورغم كل تقدم مشهود في الثقافة والفكر المصري ورغم اتساع بون الحريات في العالم فما زال المصريون يلجئون إلى العرافات لتفسير المصير المجهول ربما كان في تكهناتهن ومضة نور يسترشد بها الصامتون في معرفة مصيرهم المحتوم إلى أين يؤول، لعسكر متجبرين أو إلى ثوار طامحين. فبعد ثورة ٢٥ يناير ذهب بعض من بسطاء الصامتين ولا أتحرج أن أقول بعض من المثقفين منهم إلى عرافة سيناوية لقراءة مستقبل الثورة إلى أين يؤول؛ لتكشف لهم عما خبأه حجرها من أسرار حول مصير مبارك وأسرته في مطلع العام الجديد للثورة، وعلى الفور وشوشت العرافة الودع الذي بَيَّن لها أن عام ٢٠١٢م يحمل مفارقات وأحداث غريبة ربما تكون مرضية لأطياف الشعب المختلفة، تبدأ بموت الرئيس المخلوع مبارك متأثرًا بمرض غريب في المخ ومقتل جمال مبارك في محبسه عقب أحداث شغب تمارسها الجماهير الثائرة عند انقضاضها على السجون لتنفيذ أحكام طالبت بها الميادين وتأخر ولم ينطق بها القضاء ويفر علاء مبارك هاربًا خارج البلاد، أما سوزان مبارك فسوف تغادر الوطن إلى بريطانيا تحمل أحفادها في يديها حزنًا وحسرة لموت زوجها ومقتل طفلها المدلل والمصير المشئوم الذي آلت إليه أسرتها، وتوتة توتة خلصت الحدوتة، وصفق الصامتون مكبرين لقد نجحت الثورة واشتغلت ماكينات الإنتاج وحُلَت مشاكل التعليم وارتفعت معدلات التنمية وتوحدت صفوف المصريين وكأن العقبة الوحيدة التي كانت تعوق نجاح ثورة ٢٥ يناير والتنمية عمومًا في مصر هي وجود مبارك وأسرته على قيد الحياة .. وكأن العرافة لم توشوش ودعها وإنما وشوشت قلوب الصامتين وأمانيهم،، وأدركت رغبتهم في الاستقرار الذي لا يأتي من وجهة نظرهم إلا بإسدال الستار على هذه الأسرة التي كانت مصدر ظلم لجموع طوائف

الشعب وسفك لدماء أبناءه واعتقال لأحلامهم وحرق لآمالهم.. كما أدركت العرافة في صياغتها لتكهناتها أن تكون الحلول مرضية لكافة الأطراف المغبونة والتي تمتلك رغبة عارمة في الانتقام والتغيير.. وما زال الصامتون يتساءلون عن مستقبل الوطن ومصير الحريات العامة .. وما تزال العرافات يتكهن والصامتون ينساقون ويهللون.. ويبقى السؤال حائر هل قدمت العرافة في تكهناتها حلًا للغز الثورة ومستقبل الوطن..؟ أم على الميادين الثائرة أن تغير من آلياتها في إنجاح الثورة ولا تربط النجاح بإسقاط شخوصًا والتخلص منهم، وتبدأ بالبحث لاكتشاف وإيجاد آليات جديدة ربما تسهم في خلق واقعًا جديدًا يتسم بالحرية والعدل والاستقرار للعامة والتنمية الحقيقية للوطن.

□ □ □ □